

المفصل الرابع

مفهوم الحركة عند العرب

تعرض العلماء والفلاسفة العرب بتفصيل عظيم لحركة الأجسام، فأسهبوا في الكتابة عن مفهوم الحركة وعناصرها وارتباطها بالزمان، كما قسموها إلى انتقالية ودورانية، كذا إلى طبيعية وقسرية، ونورد فيما يلي نماذج من كتاباتهم في هذا المجال.

(١) عناصر الحركة :

يحدد ابن سينا في كتابه « الشفاء » (١) الأمور المتعلقة بالحركة بكونها ستة أمور، فيقول :

« المتحرك ، والمحرك ، وما فيه ، ومأمته ، وما إليه ، والزمان »

بالمحرك يقصد الشيخ الرئيس الجسم الذي به الحركة، وبالمحرك القوة المسببة للحركة، وبقوله ما فيه يقصد المكان والوضع، وما منه وما إليه مواضع الابتداء والانهاء، أي طرفي مسافة الانتقال وتتضمن اتجاه الحركة، أما الزمان فالقصد منه الفترة الزمنية التي تم فيها الحركة بقطع مسافة الانتقال، وارتباط الزمان بالمسافة يحدد سرعة الحركة.

(١) طبيعيات الشفاء - المقالة الثانية - الفصل الاول .

ويقول أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه «المعتبر في الحكمة» (١) :

«فانصال الزمان لازم لانصال الحركة ، ووحدة الحركة هو باتصالها في الزمان والمسافة .»

(ب) أقسام الحركة :

قسم فلاسفة العرب الحركة إلى انتقالية ووضعية ، كذلك إلى حركة طبيعية وحركة قسرية (غير طبيعية) ، وتنضج هذه المفاهيم بجلاء في كتاباتهم التي نورد نماذج منها فيما يلي :

١ - تقسيم الحركة إلى انتقالية ووضعية :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في « الرسالة الأولى في الطبيعيات من عيون الحكمة » (٢) :

« الحركة التي من أين إلى أين تسمى نقله .
الحركة التي من وضع إلى وضع تسمى وضعية . »

ويقول ابن سينا أيضاً في كتابه « الاشارات والتنبيهات » (٣) :

(١) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم ٢٢٢٢ - المجلد الثاني - الفصل الثالث والعشرون ، الفورقة ٨٧ .

(٢) كتاب « تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا ، طبعة القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ، مطبعة هندية بالوسكى بمصر .

(٣) النمط السادس - الفصل السادس عشر .

« فكل حركة في مسافة تنتهى إلى حد ما ، تنتهى إلى سكون فيه ، فتكون غير الحركة التى بها يستحفظ الزمان المتصل .

فالحركة الوضعية هى التى بها يستحفظ الزمان المتصل ، وهى الدورية » .

أما هبة الله بن ملاكا البغدادى فيقول فى كتابه : « المعتبر فى الحكمة » (١) :

« وأعم أعراض الجسم الطبيعى وأحسها به من حيث هو جسم هى الحركة ، وهذا موضع الكلام فيها ، والحركة تقال على وجود ، فمنها الحركة المكانية ، وهى التى بها ينتقل المتحرك من مكان إلى مكان ، ومنها الحركة الوضعية ، وهى التى تبدل بها أوضاع المتحرك ، وتنتقل أجزاؤه فى أجزاء مكانه ، ولا يخرج عنه جملة مكانه ، كالدولاب والرحا » .

٢ - تقسيم الحركة إلى طبيعية وقسرية :

(١) بالحركة الطبيعية : يقصد العرب حركة الجسم إلى موضعه الطبيعى بعد أن يخرج عنه قسرا ، وذلك عند زوال القاسر عنه ، وعلى ذلك فالحركة الطبيعية عندهم هى حركة التمثيل إلى

(١) مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم ٣٢٢٢ - المجلد الثانى - انفصل التاسع - الورقة ٢٦ .

السفل ، وحركة الخفيف إلى العلو ، إذا ما أخرج الجسم قسرا عن مكانه الطبيعي .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في « السالة الأولى في الطبيعيات من عيون الحكمة » .

« وكل جتم متحرك فحركته إما من سبب من خارج ، وتسمى حركة قسرية . وإما من سبب في نفس الجسم ، إذا الجسم لا يتحرك بذاته ، وذلك السبب إن كان محركا على جهة واحدة على سبيل التسخير ، فيسمى طبيعة ، وإن كان محركا حركات شتى بإرادة أو غير إرادة ، أو محركا حركة واحدة بإرادة فيسمى نفسا .

ويقول هبة الله بن ماسكا البغدادي في كتابه « الاعتبار في الحكمة » (١) :

« . . . فإن الحركة إما طبيعية وإما قسرية ، والقسرية يتقدمها الطبيعية ، لأن المتسور إنما هو مقسور عن طبعه إلى طبع قاسره ، فإذا لم يكن حركه بالطبع لم يكن حركه بالقسر ، والطبيعة إنما تكون عن مباين بالطبع إلى مناسب بالطبع ، أو إلى مناسب أنسب من مناسب . . . »

ويقول الإمام فخر الدين الرزاي في كتابه « المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات » (٢) :

(١) مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم ٢٢٢٢ - المجلد الثاني - الفصل الرابع عشر - الورقتان ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) الكتاب الثاني - الفن الخامس - الفصل الخامس والأربعون (طبعة حيدر آباد الدكن بالهند ، الصفحة ٦٢١) .

« . . . وإن كانت الحركة حاصلة فيه ، فإما أن يكون صبيها شيئاً موجوداً في الجسم ، أو يكون سبب تلك الحركة خارجاً عن ذات المحرك ، والقسم الأول هو الحركة الطبيعية ، والقسم الثاني هو الحركة القسرية ، وأما القسم الأول وهو الذي يكون مبدأ الحركة قوة موجودة في ذلك الجسم ، فقد عرفت في باب القوى أن كل فعل يظهر من الجسم لا بالعرض ولا بالقسر ، فلا بد وأن يكون لقوة موجودة فيه » .

(ب) بالحركة غير الطبيعية : يقصد الحركة التي تنشأ عن تعريض الجسم لمحرك من الخارج ، وقد سمي الفلاسفة العرب هذا القسم بالحركة القسرية ، وفيها يمكن للمحرك أن يلزم الجسم المتحرك أثناء تحركه ، أو أن يفارقه بعد أن يبدأ الحركة فيه .

يقول هبة الله بن ملكا البغدادى : الجزء الثانى من كتابه «المعتبر فى الحكمة» (١) :

« فنقول إن المحرك بالذات لكل متحرك يكون إما طبيعة وإما قسراً وإما إرادة ، ويخصون باسم الطبيعة ما يحرك بالتسخير وعلى سنن واحد ، ويعنى بالتسخير أنه تحرك بغير معرفة ولا روية منه ، كالحجر فى هبوطه ، والإرادة فعلمومة ، وهى معرفة الفاعل بما يفعله وعزيمته عليه .

والقصر فمن شيء خارج عن المتحرك بحركة على مقتضى طباع
المحرك أوروبته ، لأعلى مقتضى طباع المتحرك وروبيته .

والسما لا يجوز أن تكون حركتها قسرية ، لأن القسر إذا دام يبطل
الطبيعة ، ويفسد المطبوع ويحيله إلى مقتضاه ، وهو فعل الأضداد
بأضدادها ، والسما لأضدها ، ولانضاد فيها ، ولافساد لها ،
وحركتها دائمة ، كذلك فليست بقسرية ومن القاسر ، فإن كل قاسر
لجسم عن طبع آخر ، فأما أن القسر الدائم يبطل الطباع ويفسدها
فعلوم من جهة مالدينا من المتضادات وافساد بعضها بعضا ، فما
السموات مقسورة على حركتها الدائمة ، قالوا ولاحركتها بالطبيعة
المسخرة